

# أنشودة حزينة عن المعاناة في الشتات

«ولدوا في سوريا».. مأساة الأطفال في زمن الحرب



## استعادة صور الدمار في الوطن

أكثر قسوة بعد أن تصبح فرصة العثور على عمل شبه معدومة، بل ويتابع المخرج مع أب وابنه رحلة البحث عن يقبل تاجر مسكن يابويهما. الصورة قاسية وأحدث الأطفال وقصصهم مؤثرة ومحزنة، لكنها الحقيقة التي نتجت عن تجاهل سنوات من العنف والقتل في سوريا دون أن يحرك العالم ساكنا، والنتيجة المأسوية يدفعها الذين يجب أن يتمتعوا بكل ما يتمتع به الأطفال من العيش في أمان وتلقي قسط جيد من التعليم، يتبع لهم على الأقل، أن يصبحوا جزءا فاعلا في المجتمعات التي لجأوا إليها.

**الفيلم عن العجز: ليس فقط من جانب أطفال كتب عليهم أن يعيشوا زمن القتل، بل وعجز المشاهدين عن القيام بما عليهم فعله**

«ولدوا في سوريا» أنشودة حزينة عن الشتات، وعن العجز عن الفعل، ليس فقط من جانب أطفال كتب عليهم أن يعيشوا زمن القتل، بل وعجز المشاهدين أنفسهم عن القيام بما يجب القيام به. ولكنه على الأقل، يفتح العيون والأذان، ويدعو إلى التفكير في ما يمكننا أن نفعله. وتلك هي قوة الفيلم التسجيلي وتأثيره.

ولم تكن تملك من المال ما يكفي لتدبير مصاريف رحلتها معها. وجهان تتخاطب كثيرا مع أمها عبر التليفون المحمول والإنترنت، الأم تبكي كلما تحدثت مع ابنتها، والابنة تشعر باللوعة والأسى بل بالذنب أيضا كونها خرجت دون والدتها. وفي لحظة ما تطلب من أمها الكف عن البكاء، فتقول لها الأم في لوعة إن الدموع جفت ولم يعد لديها المزيد من كثرة ما بكت على فراق ابنتها.

## أنشودة حزينة

يفتح الفيلم برحلة قارب مطاطي كبير من قوارب حمل اللاجئين وهو يصل قرب جزيرة ليسبوس، وعمليات إنقاذ الأطفال من الغرق والاختناق والموت، ثم يصور مسيرة الآلاف من اللاجئين على الأقدام من تركيا إلى المجر والعبور إلى صربيا وإغلاق الحدود والبقاء لأيام على هذا النحو قبل نقلهم بالحافلات قرب الحدود النمساوية. يعيش المخرج، والمصور، والكاميرا معهم، يرحل معهم ويقرب من عالمهم، يرقب ويصور كيف يعيشون داخل تلك الخيام الضيقة في البرد الشديد، بل العطور على مكان للمبيت في مدينة فيينا دون جدوى، ثم ينتقل إلى مخيم آخر للاجئين، حيث ينتظر الآلاف البت في طلبات اللجوء، وبعد أن ينال بعضهم حق اللجوء ومغادرة المخيم تصبح الحياة

الاتحاد الأوروبي، ما تقوله المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل وما يصرح به رئيس وزراء المجر، وكيف تتناقض التصريحات، من التحذير والرفض كما يفعل رئيس الحكومة المجري، إلى الترحيب وفتح الأبواب والتعهد بالاستقبال من الجانب الألماني. سبعة من الأطفال المشردين، منهم من تعرض للصفق فاحترق وجهه وتشوه إلى الآن في صحة والده.. ومنهم من أصبح يقيم مع عمه في تركيا، لكن أقاربه يخفون عنه وفاة والده بعد أن دُفعا به إلى الفرار إنقاذا له من جحيم الحرب، خشية ألا يتحمل الصدمة أو كما يقول عمه، قد يلجا إلى الانتحار هربا من واقعه المؤلم. هناك أيضا طفل السنوات الخمس الذي يجد نفسه في مخيم مؤقت في النمسا، لا يعرف ما هي الخطوة التالية؛ إنه سعيد باللعب مع الأطفال، يمنحه أحد الزوار النمساويين زلاجة من تلك التي يلعب بها الأطفال، وعندما يذهب ليقتني حاجته ثم يعود يجد الزلاجة قد سرقت. لقد فقد حتى أبسط الأشياء التي كان يمكن أن تمنحه سعادة مؤقتة. وهناك جيهان أكبر من يظهرون في الفيلم من الأطفال، فهي في الخامسة عشرة، وقد أصبحت عالقة في أحد مخيمات اللاجئين في ليسبوس اليونانية، لكنها تركت أمها خلفها في بيروت فقد فضلت الأم أن تتيح فرصة النجاة لابنتها

هو يقصد مرحلة محاولة تحسن الأقدام في بلاد المهجر.. الحصول على الوطن البديل، والقدرة على استيعاب ما حدث والانتقال إلى التعليم ثم العمل، في مناخ غير مهيأ تماما أو غير مستعد دائما للترحيب باللاجئين الذين ينظر إليهم بتشكك وريبة وأحيانا بغضب. لا يستخدم المخرج التعليق الصوتي على مشاهد فيلمه، بل يترك للأطفال أنفسهم التعبير عن مآسائهم برواية قصصهم الشخصية المتباينة البريئة، بل يدفعهم أيضا إلى أن يقصوا علينا نحن المشاهدين، أحلامهم وهواجسهم ورؤاهم، كيف انطبعت التجربة القاسية، تجربة الحرب ثم المعاناة من أجل الخروج وما بعده، في أذهانهم ورسخت في ذاكرتهم. هذه الأحلام هي في الحقيقة كوابيس مخيفة تتراءى فيها لهم الجثث والرؤوس التي انفصلت عن الأجساد، والقنابل التي تنفجر في المنازل القريبة.. والموت.. موت الأهل والجيران، ولا شيء غير الموت. ومع الانتقال بين الأطفال السبعة، ينتقل الفيلم عبر شريط الصوت، بين مقاطع صوتية لمسؤولي

ظهرت أفلام تسجيلية كثيرة عن ضراوة المشهد الإنساني في سوريا في زمن الثورة وما أعقبها من نشوب حرب أهلية، وجاء تصوير هذه الأفلام من زوايا عديدة، بحيث تقدم صورة لما يحدث في العمق السوري، مصورة معاناة المدنيين وقسوة العيش في زمن الحرب حيث ينتشر الموت والخراب في كل مكان.

الوضع الملتبس محنة إنسانية قاسية لا شك أنها ستعكس على مصائر هؤلاء الأطفال مستقبلا.

## فيلم مؤثر

هذا فيلم شديد التأثير والقوة. ليس هناك ما يشبهه في قوته وتأثيره وصدقه بل وجمال صوره وشفافيتها الحزينة. ولا يملك المرء وهو يتابع لقطاته وشخصياته من الأطفال بل ومن الكبار، سوى أن يشعر بغصة في القلب، مع شعور بالعجز أمام محنة إنسانية هائلة على هذا المستوى. يعتمد بناء الفيلم على الانتقال بين سبعة من الأطفال السوريين من أعمار مختلفة، تفرقت بهم السبل في أوروبا، من تركيا إلى جزيرة ليسبوس اليونانية، إلى أثينا، ومن المجر إلى فيينا، ومن سلوفاكيا وصربيا إلى ألمانيا. فهم ضائعون مشتتون، يقضون دهرًا على الحدود ينتظرون السماح لهم بالعبور. والحدود متعددة ومنها ما يتم إغلاقه عمدا لدفعهم دفعا إلى العودة من حيث أتوا، وهم يريدون أن يضعوا أقدامهم على أرض صلبة، يحملون بمستقبل أفضل، لكن عبارة ترد في الفيلم على لسان أحدهم حتى بعد أن يجد المأوى بشكل ما في ألمانيا، تلخص الوضع بأسره: فهو يقول وكأنه في الحقيقة يناجي نفسه "كنت أتصور أن عبور البحر هو المرحلة الأكثر قسوة في الرحلة، لكن جاءت المرحلة الأشد في ما بعد، بعد أن عبرنا ووصلنا إلى هنا".



أمير العمري  
كاتب ونقاد سينمائي مصري

من الأفلام التسجيلية الكثيرة التي ظهرت عن الأوضاع في سوريا، أفلام تصور فرق الإسعاف والإنقاذ من شباب المتطوعين، وأفلام أخرى ترصد أحوال الأسرة السورية التي تفرق بها الحال، قتل من قتل، ونجا من استطاع، وأصبح الكثيرون يحاولون الفرار من جحيم الحرب، كما ظهرت أفلام أخرى عن تنظيم داعش وممارساته البشعة في المناطق التي كان يسيطر عليها وكذلك أحوال العيش في جحيم التنظيمات الإسلامية المسلحة.

**«ولدوا في سوريا» فيلم شديد التأثير والقوة، ليس هناك ما يشبهه في قوته وتأثيره وصدقه بل وجمال صوره وشفافيتها الحزينة**

قليل من هذه الأفلام يركز على معاناة الأطفال السوريين على وجه التحديد. ومن أهم هذه الأفلام وأفضلها وأكثرها تأثيرا، الفيلم التسجيلي الطويل «ولدوا في سوريا» للمخرج الأرجنتيني- الإيطالي هيرنان زين الذي برع في مثل هذا النوع من الأفلام التسجيلية التي تدور في ظروف الحرب والاشتباكات المسلحة. وكان هيرنان قد اكتسب خبرة كبيرة من خلال عمله كصور حربي خاص الخبر من التجارب المضنية في مناطق النزاعات المسلحة.

وهو في فيلمه «ولدوا في سوريا» انتهي من إخراجها عام 2016، يتوقف ليرصد من زاوية إنسانية، معاناة أولئك الذين ولدوا ونشأوا في ظروف الحرب الأهلية السورية ثم كتب عليهم الفرار إلى المهجر، من أجل النجاة من الموت. بعضهم فقد ذويه، والبعض الآخر ترك والديه خلفه أو سبقه أحد الوالدين إلى المهجر في أوروبا. وقد نتجت عن هذا

## تونس ضيفة شرف مهرجان مالمو للسينما العربية

المركز الوطني التونسي للسينما، إذ وقع الطرفان بروتوكول تعاون يضم الفعاليات والأنشطة المختلفة التي يستضيفها المهرجان بما في ذلك مشاركة خمسة أفلام طويلة وأربعة أفلام قصيرة في أقسام المهرجان المختلفة.



**المهرجان تأسس بالسويد في 2011 ويعد أكبر منصة للتعريف بالسينما العربية في الدول الإسكندنافية**

كما يشمل برنامج ضيف الشرف إقامة معرض صور ونسود بعنوان «السينما التونسية بين الماضي والحاضر»، إضافة إلى حضور وفد من صناع ومسؤولي السينما التونسية ومشاركتهم في منتدى سوق مالمو. وكانت مصر ضيف شرف الدورة السابقة من المهرجان.

المالمو (السويد) - تحل السينما التونسية ضيفة شرف الدورة التاسعة لمهرجان مالمو للسينما العربية التي تقام في أكتوبر في السويد. ويعد المهرجان الذي تأسس في العام 2011 بمدينة مالمو في جنوب السويد أكبر منصة للتعريف بالسينما العربية في الدول الإسكندنافية. ويجانب عرض الأفلام ودعم المشاريع الجديدة حرص المهرجان في كل عام على استضافة صناع ونجوم السينما العربية. وقال مؤسس ومدير المهرجان محمد قبلاوي في بيان «من السهل إدراك الإنجاز الذي يحدث في السينما التونسية المعاصرة والتي أصبحت وجودها أمرا طبيعيا في كل المهرجانات الكبرى». وأضاف «كان اختيار هذه الصناعة الطموحة اختيارا منطقيا بالنسبة لمهرجان مالمو الذي يحاول منذ بدايته تسليط الضوء على كل ما هو مميز في السينما العربية». وتقام الدورة التاسعة من المهرجان في الفترة من الرابع إلى الثامن من أكتوبر المقبل. وأشار قبلاوي إلى أن اختيار تونس لتكون ضيف الشرف تم بالتعاون بين مهرجان مالمو للسينما العربية

## الجم التونسية تجمع سحر الألوان بين أحضان الحضارة

الروماني مع الأوركسترا السيمفونية التونسية. وتختتم فعاليات الملتقى الدولي «تيسدريس للفنون البصرية» في الثامن والعشرين من يوليو بتدشين معرض تشكيلي للأعمال المنجزة بالملقن، ومتابعة عرض قياسي للفنانة الفرنسية سارا سفاتي ديفي ثم توزيع شهادات المشاركة. وكلمة تيسدريس تعني في العهد الروماني، قصر الجم أو مسرح الجم والذي أدرج سنة 1979 على لائحة مواقع التراث العالمي من قبل اليونسكو. ويقع تحت حلبة رواقان يصلهما الضوء من الفتحة الوسطى في الحلبة، كما كانت هناك فتحتان من جانبي الحلبة لرفع الوحوش (من أسود ونحوها) والمصارعين (من أسرى الحرب والمتجادلين)، حيث كان الوحوش والمصارعون يأسرون في غرف تحت الحلبة. وأقيمت في مسرح الجم، في العهد الروماني، مصارعات الوحوش ومعارك المصارعين وسباقات العربات، حيث كان الشعب والنبلاء الرومانيون يجلسون لمشاهدة تلك الاستعراضات. وصار قصر الجم، حاليا، مسرحا لأشهر الفنانين والموسيقيين العالميين، إذ تقام فيه سنويا مهرجانات وحفلات لأهم الفرق العالمية، خاصة منها السيمفونيات وفرق موسيقى الجاز.

وتواصل في اليوم التالي، أي الخميس، أشغال الورشات بالمسرح الأثري بمدينة الجم في فترتين صباحية ومسائية، تليهما سهرة موسيقية. أما يوم 26 يوليو، فسوف يكون يوما سياحيا لتعريف ضيوف الملتقى بمدينتي الجم والمهدية، لتتواصل يوم 27 يوليو الورشات بالمسرح الأثري، يليها عرض للموسيقى السيمفونية بالمسرح دي مينوركا من إسبانيا.



## ملتقى سنوي للفنون البصرية

وفيها مداخلتان لكل من محمد بن حصودة وحمادي بن جاب الله، تليهما سهرة موسيقية. وفي الرابع والعشرين من يوليو، تنطلق أشغال الورشات بالمسرح الأثري بمدينة الجم، فيما يسهر ضيوف الملتقى مع عرض للموسيقى السيمفونية بالمسرح الروماني مع أوركسترا الغرفة دي مينوركا من إسبانيا. ويتنظم هذا النسخة تحت عنوان «سحر الألوان بين أحضان الحضارة»، والتي تستضيف عددا من الفنانين التشكيليين من تونس وخارجها، حيث يسجل فنانون من الجزائر وليبيا ومصر والأردن وروسيا وفرنسا وأوزباكستان وتايوان حضورهم للمشاركة في مختلف فعاليات الملتقى، وخاصة في المعرض الجماعي الذي يفتتح عشية الثالث والعشرين من يوليو، وأيضا الورشات التي سوف تقام انطلاقا من الرابع والعشرين منه. وينطلق اليوم الأول من الملتقى، كما أسلفنا، في الثالث والعشرين من يوليو، بالمسرح الأثري بالجم، وذلك من خلال تدشين معرض الفنانين التشكيليين المشاركين ومعرض الفسيفساء العصرية للفنانة التشكيلية التونسية إيمان علوي. لتلتزم إثر ذلك ندوة علمية بإدارة التشكيلية التونسية أحلام بوضنل